

* الكتاب الثالث: "من الحرية والجنون والإبداع" (الحلقة الخامسة)



yehiatrakhawy@hotmail.com

نشرة "الإنسان" 2019/10/05

السنة الثانية عشرة - العدد: 4417

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

ثانيا: المسار في حالة الإبداع

اختيارات (حرية) المبدع (حالة الإبداع)

تنبيه: يلاحظ أن بدايات المبدع ومواجهته لهذه الاختيارات هي أقرب إلى بدايات المجنون منها إلى العادى (2) مع الفارق الهائل فى الناتج.

المستوى الأول: أكون أو لا أكون:

(1) أكون... أكون "أنا"، إن مجرد طرح السؤال هو قرار أن أكون، لقد اكتشفت أنني لست أنا، إنهم صنعوني وهأنذا سوف "أكون" ما هو "أنا"، وليس ما صاغوه هم على انه "أنا".

(2) هأنذا كائن فائق الوعي أنا، هذا لا يكفى، لا يحمى، ثم إنهم سوف ينقضون على من جديد، إما بالعلاج: لو اعتبروا اختلافى عنهم جنونا، أو بالنفى فالإجهاض.

(3) سوف أصوغ نفسي "أنا" غير ما أردوه، دون أن تتناثر ذاتى، ذاتى، منى، أو أنفيها.

(4) الحماية الوحيدة هي أن أكون غير ما أردوا (وليس "نفي" ما أردوا)، أختلف، وأصنع ما أشاء وأستطيع دون استئذان، وأعمق ذاتى الجديدة أكثر، فأكثر... فأكثر.

(5) لأستمر أنا بالتفرد وبالرفض، وبالمواجهة، وكل هذا هو صناعة جديدة: إبداع. هذا الإبداع المختلف (وليس بالضرورة المخالف) هو "أنا": المبدع، الإبداع هو "أنا".

(6) اخترت أن "أكون" وهأنذا أحقق "حققت ذاتى" (3)

(7) لكن يبدو أنها ليست ذاتى، أنا أتواجد فى إبداعى، حلّ إبداعى محلى فلم "أكن"، خدعت، لا .. لست أنا، لم أكن إلا إبداعى . أنا لست إبداعى، أنا لست إبداعا بديلا عنى، هذا ليس أنا .

(8) يا خسارة!!!

المستوى الثانى: أكون أو أصير

(1) يبدو أنى على الرغم من تحقيق ذاتى فى إبداع ما : عجزت أن أكون، خدعتنى حكاية "تقرير الذات" خدعتنى نفسى بتأكيد ذات جديدة، لكنها ليست بالضرورة "أنا". أنا لم أحقق شيئا، (ليس أنا هو هذا الشئ المنفصل عنى حتى لو كان إبداعى) إن هذا الـ "أنا"، المعروف أن أكونه هو غير ما أردوه، لكنه أيضا ليس ما أردت أن أكونه، (رغم أنه ليس عفريتتى، ولا نفى ذاتى، هو أنا إلا أنا، هو عينة لما يمكن أن أكونه، أن تكونه، أو ربما إشارة إليه) .

(2) لكن إذا كانت هذه الـ "أنا" (التي صنعتها إبداعا) ليست "أنا"، و أيضا تلك الـ "أنا" التي كانوا قد صاغوني فيها ليست "أنا"، فكيف السبيل إلى ما هو "أنا"؟

(3) ما دمت لا أرضى بهذه الكينونة التي هي "شبه أنا"، (وليست بالضرورة: "أنا") حتى لو كانت إبداعا من صنعى، فلسوف أنطلق منها إلى ما بعدها، وليس فقط إلى عكسهم، أو عكس ما صنعوه قبلا كأنه

أكون... أكون "أنا"، إن مجرد طرح السؤال هو قرار أن أكون، لقد اكتشفت أنني لست أنا، إنهم صنعوني وهأنذا سوف "أكون" ما هو "أنا"، وليس ما صاغوه هم على انه "أنا".

سوف أصوغ نفسي "أنا" غير ما أردوه، دون أن تتناثر ذاتى، ذاتى، منى، أو أنفيها

لأستمر أنا بالتفرد وبالرفض، وبالمواجهة، وكل هذا هو صناعة جديدة: إبداع. هذا الإبداع المختلف (وليس بالضرورة المخالف) هو "أنا": المبدع، الإبداع هو "أنا"

لكن يبدو أنها ليست ذاتى، أنا أتواجد فى إبداعى، حلّ إبداعى محلى فلم "أكن"، خدعت، لا .. لست أنا، لم أكن إلا إبداعى . أنا لست إبداعا بديلا عنى، هذا ليس أنا

خدعتنى حكاية "تقرير الذات" خدعتنى نفسى بتأكيد ذات جديدة، لكنها

”أنا“.

- 4) اخترت أن “أصير” فيما بعد ناتجى الإبداعى إلى إبداع آخر، يشمل ذاتى باستمرار، بما لا أعرف.
- 5) أكتشف أن كينونتى خدعة كبرى إذا سكنت إليها. الصيرورة هى الحقيقة، شريطة ألا أتلاشى فيها. أنا لا أكون ”أنا“ إلا إذا قبلت أن أكون فى حالة تتجدد باستمرار.
- 6) اخترت أن أصير بأن أبداع أكثر أصالة، أن أتغير من خلال ما أبداع، لكن يبدو أن ”هذا“ لا يكفى.
- 7) يبدو أنه لم يعد يكفينى أن أستمد تحديد معالى (وجودى) من إبداعى. أرفض مقولة: ”أنا أبداع = أنا موجود“. كلما حاولت أن أتجاوز ذاتى فى إبداعى وجدته (إبداعى) قد حل محلها.

المستوى الثالث: أنقرض أم أظفر (4)

- 1) هل أقبل أن أصير أنا = إبداعى، وباستمرار؟.
- 2) أشعر أننى صرت نفسى، ”بلا نفسى“.
- 3) هى صيرورة تبدو رائعة لكن يبدو أنها معادة و.. وبالعرض.
- 4) قواعدهم ترهقنى وتمنع صيرورتى الحقيقية.
- 5) لكن من أدرانى ما هى الصيرورة الحقيقية؟
- 6) أى شئ إلى الأمام خير من هذه الصيرورة ”العرضية“.
- 7) هذا الإيقاع المحسوب لم يعد يصلح.
- 8) فلاأقفز - أندفع - أظفر.
- 9) لكن إلى أين؟ أخشى من التناثر والضياع.
- 10) فلاأتوقف.
- 11) لا أستطيع أن أتوقف. دفعُ الصيرورة أصبح ذاتيا، أقفز إلى فضاء.
- 12) أفاعا بإبداعى الجديد، يكونى قبل أن أكونه، فأكونه.
- 13) أندفع بصيرورة حقيقية - أظفر، كأنى من جنس آخر.
- 14) هى ذى: أنا أبداع فأنا غير موجود، وعدم وجودى ”هذا“ هو وجودى الحقيقى.
- 15) ولكن ذلك يحتاج إلى تغيير فى السرعة والإيقاع.
- 16) ليكن، فهى الوثبة إلى المجهول.
- 17) يبدو أن ”أنا“، لكى تكون ”أنا“، لا بد أن تستمر ”ليست أنا“، و”ليست هم“.
- 18) ولكن ذلك يحتاج إلى دفعة أخرى هائلة حتى لو.. .

- 19) فهو ”الإبداع الفائق الذى هو ”أنا“ إذ تنازلت عنها وعنهم، لأخلقنى بهم، حتى بدون لغتهم أو لغتى أصير إبداعا متصلا لأتلاشى فيما أبداع، دون أن يحل محلى، أتخلق به فأكون غير ما هو أنا لأخلق غير ما هو هو، أنا أسير نحو الوعد الآتى، دون أن أفقدنى، ولا أتوقف عندى، بفعل حريتى المتجددة (أنا أظفر إلى مايجدنى باستمرار ”إليه“ ..! أنا ..، إليه..) (5)

ينبغى هنا أن نكرر أن التشكيلات المحتملة لمسار الإبداع بالذات قد تتوقف فى أى مرحلة، فهذا المسار النادر إنما يعلن تدرج ما هو حرية واختيار بتعقيد ينتقى معه هذا الوهم السطحى عن مقولة ”الحرية والإبداع“. إن المسار التصعيدى الإيجابى لا يسير هكذا تلقائيا على طول الخط، حيث أنه فى كل أزمة اختيار قد تطل اختيارات الجنون كبديل يحمل نفس البدايات، ويغرى بنفس المواصفات ثم لا يصل إلا إلى النهايات السلبية السالفة الذكر فى مسار الجنون، بل إنه قد تطل أيضا اختيارات الانطفاء والتوقف والتراجع إلى أى مستوى من مستويات العادية.

ثالثا: المسار فى حالة العادية (وفرط العادية)

(اختيارات (حرية) العادى (حالة العادية):

حتى نعلم ماذا يحدث للشخص العادى (بمعنى: الممثل لـ”الحالة العادية“= الشخص حالة كونه فى ”حالة العادية“) إزاء مآزق الاختيار هذه (الحرية)، لا بد أن نتحمل بعض التصور لما ”لا يحدث“، وليس فقط

ليست بالضرورة ”أنا“.

إن هذا الـ ”أنا“، المعروض أن أكونه هو خير ما أراوده، لكنه أيضا ليس ما أردت أن أكونه

إذا كانت هذه الـ ”أنا“ (الذى صنعناها إبداعا) ليست ”أنا“، و أيضا تلك الـ ”أنا“ التى كانوا قد صاغونى فيها ليست ”أنا“، فكيف السبيل إلى ما هو ”أنا“؟

أكتشف أن كينونتى خدعة كبرى إذا سكنت إليها. الصيرورة هى الحقيقة، شريطة ألا أتلاشى فيها

أنا لا أكون ”أنا“ إلا إذا قبلت أن أكون فى حالة تتجدد باستمرار.

أرفض مقولة: ”أنا أبداع = أنا موجود“. كلما حاولت أن أتجاوز ذاتى فى إبداعى وجدته (إبداعى) قد حل محلها

لا أستطيع أن أتوقف. دفعُ الصيرورة أصبح ذاتيا، أقفز إلى فضاء

هى ذى: أنا أبداع فأنا خير موجود، وعدم وجودى ”هذا“ هو وجودى الحقيقى

يبدو أن ”أنا“، لكى تكون ”أنا“، لا بد أن تستمر ”ليست أنا“، و”ليست هم“.

”الإبداع الفائق الذى هو ”أنا“ إذ تنازلت عنها وعنهم، لأخلقنى بهم، حتى

بدون لغتهم أو لغتي أصير
إبداعاً متطلاً لأتلاشى فيما
أبداع، دون أن يحل محلي

أنا أسير نحو الوعد الآتي،
دون أن أفقدني، ولا أتوقف
عندي، بفعل حريتي
المتجددة (أنا أظفر إلى
ما يبغىني باستمرار "إليه" ..!
أنا ... إليه..)

لا بد أن نتحمل بعض التصور
لما لا يحدث، وليس فقط لما
يحدث، باعتبار أن "ما لا
يحدث" هذا حادث في
مستوى بعيد عن تناول
الشعوري بشكل ما

المستوى الأول: أكون أو لا
أكون:
قد لا يطرح هذا السؤال أصلاً
على كافة مستويات الوعي،
بل إنه قد لا يطرح أصلاً - في
الحالات العادية القصوى
(فرط)
العادية (Hypernormality)
حتى على مستوى الحلم

ما هذا الكلام الفارغ (أكون
أو لا أكون؟)، هأنذا كائن
هكذا . وما تسمونه
اللاكينونة هو الكينونة التي
يرتضيها أي محقق مثلي، لا
أكون أي أكون، (وخلص).

المستوى الثاني: أكون أو
أصير
إذا كان السؤال الأول لم
يطرح أصلاً فمن باب أولى أن
السؤال الثاني لا يطرح أيضاً
من أجل الدقة فإن السؤال
في هذا المستوى من العادية
ليس هو: أكون أو أصير،

لما يحدث، باعتبار أن "ما لا يحدث" هذا حادث في مستوى بعيد عن تناول الشعوري بشكل ما.
المستوى الأول: أكون أو لا أكون:

قد لا يطرح هذا السؤال أصلاً على كافة مستويات الوعي، بل إنه قد لا يطرح أصلاً - في الحالات العادية
القصوى (فرط العادية) (Hypernormality) حتى على مستوى الحلم (6).

وقد يطرحه الشخص العادي طرحاً لفظياً معقولاً عابراً، لأمعايشة تركيبية كيانية غائرة، يطرحه - مثلاً -
وهو يستفتي سلطة جاهزة بالأجوبة، سواء كانت سلطة دينية أم اجتماعية أم غيرها.

إن عدم طرح السؤال أصلاً هو إجابة ضمنية على التساؤل الأول، فاللاكينونة عند الشخص العادي
(أعني الشخص: في حالة "العادية" لا مفر من التكرار) تساوى عنده الكينونة، وكأن الشخص العادي، أو
الشخص حالة كونه في "حالة عادية" يجيب - لا شعورياً - (دون أن يسأل أو يُسأل) قائلاً:
ما هذا الكلام الفارغ (أكون أو لا أكون؟)، هأنذا كائن هكذا (7)، وما تسمونه اللاكينونة هو الكينونة التي
يرتضيها أي عاقل مثلي، لا أكون أي أكون، (وخلص).

المستوى الثاني: أكون أو أصير

إذا كان السؤال الأول لم يطرح أصلاً فمن باب أولى أن السؤال الثاني لا يطرح أيضاً، لكن ثمة مسيرة
موازية للصيورة بالنسبة للشخص العادي (حالة العادية)، وهي ليست صيرورة كيانية، وإنما هي شبه
صيرورة عادية بديلة، صيرورة إلى نفس الموقع بالتراكم الكمي بديلاً عن الصيرورة الكيانية.
والاختيار هنا أيضاً واضح:

فالخمول اليومي الذي يبدو ضد الطموح "الكمي" والاستلابي هو البديل المطروح،
ومن أجل الدقة فإن السؤال في هذا المستوى من العادية ليس هو: أكون أو أصير، وإنما تستبدل به أسئلة
مثل: أرضى (أهمد) أم أتطلع، (أزيد-أطمع).

والمعنى هنا خطي جزئي، ليس فيه صيرورة حقيقية لأنه خال من التغيير النوعي، وكأنه قد ترجم إلى:
أكون ما أظنه "أنا" هكذا؟ أم أطمح إلى أحسن ما يمكن أن أكونه أنا (نفس الأنا)؟..
وكان الإجابة هنا (دون سؤال ظاهر في الوعي) أيضاً تحتل الجانبين بنفس القدر:
أولاً: أنا كائن فعلاً، وراض تماماً، وأحسن ما أكونه هو الأحسن وهو ما أملكه، ما أترف به، ما أفاخر
به، مما هو كائن فعلاً.

في مقابل:

ثانياً: أنا غير راض وسأجمع، وأزيد، وأزيد، وأزيد، وهذه هي صيرورتي: أن أتمادى فيما هو أنا (نجد أدق
تصوير لهذا النوع من الصيرورة في حضرة المحترم: نجيب محفوظ) (8).

على أن العادي (حالة العادية)، رغم تجنبه مواجهة هذا السؤال أصلاً، فإنه (كما أشرنا) قد يتكلم فيه أو
يطرحه طرحاً مُعَقَّلاً أو مُلَفِّظاً خالياً من النبض والمعاشية.

وعادة ما يستعين العادي (= الشخص في حالة العادية) بدعائم جاهزة تجنبه هذه المواجهة من البداية،
مثل تسليم مفاتيح عقله لنص جامد (ديني أو أيديولوجي أو سياسي إلخ).

وقد يكتشف نفس الشخص أن هذه الصيرورة كاذبة فعلاً، فيرجع إلى حالة من اللاعادية: إما الإبداع وإما
الجنون (شحاذا نجيب محفوظ مثلاً): (9).

المستوى الثالث: أنقرض أو أظفر

مرة أخرى لا بد أن نستنتج أن هذا السؤال أبعد عن ظاهر وعي "العادية" من سابقه، ذلك أن الصيرورة
"الكمية التراكمية الزائفة"، أو قل "الصيرورة الجزئية أو الجانبية أو الاستلابية"، والرضا أو الخمول، كل
ذلك هو شكل من أشكال العدم المتحرك إن صح التعبير، وقد يكون اختيار الانقراض جماعياً بإهمال
قواعد السلامة، أو بالإضرار بالبيئة، وقد تتم الإجابة على هذا السؤال مسبقاً بحيث لا يطرح السؤال التالي
أصلاً، فإن العادي (حالة العادية) سواء رضى أم طمح، فقد أجاب على هذا السؤال باختيار الرضا
والإنكار، وما يسرى عليه يسرى بأقل قدر من الاختيار (10).

وإنما تستبدل به أسئلة مثل:
أرضى (أهمد) أم أطلع.
(أزيد-أطمع).

أكون ما أظنه "أنا" هكذا؟
أم أطمح إلى أحسن ما يمكن
أن أكونه أنا (نفس الأنا)؟..

أنا كائن فعلا، وراض تماما،
وأحسن ما أكونه هو الأحسن
وهو ما أمتلئه، ما أتروفه به،
ما أفاخر به، مما هو كائن فعلاً

أنا خير راض وسأجمع، وأزيد،
وأزيد، وأزيد، وهذه هي
صيرورتي: أن أتمادى فيما
هو أنا

المستوى الثالث: أنقرض أو
أطفر
مرة أخرى لا بد أن نستنتج أن
هذا السؤال أبعد عن ظاهر
وعى "العادية" من سابقه

أن الصيرورة "الكمية
التراكمية الزائفة"، أو قل
"الصيرورة الجزئية أو الجانبية
أو الاستلابية"، والرضا أو
الخمول، كل ذلك هو شكل
من أشكال العدم المتحرك
إن صح التعبير

ليس معنى هذا أن الشخص
في حالة العادية (الشخص
العادي) لا يشعر بتهديد
الانقراض، فهو يشعر به لأنه
لا يعايشه من موقع المسؤولية
الفردية عن ذلك

اختيار الطفرة في حالة
العادية، فهو اختيار النوع في
الأغلب، تماما مثلما حافظت

وليس معنى هذا أن الشخص في حالة العادية (الشخص العادي) لا يشعر بتهديد الانقراض، فهو يشعر
به لكنه لا يعايشه من موقع المسؤولية الفردية عن ذلك، فهو عادة ما يعامل احتمال الانقراض معاملة
القضاء والقدر، وبالتالي فالطفرة (الإبداع الفائق) غير مطروحة على مستوى الاختيار (الاضطرار) الفردى
على الأقل.

وقد تصل الطفرة/الاندفاع العادية إلى المجهول إلى فعل الانتحار الحقيقي أو الانتحار البديل مثل
الإفلاس أو زواج مومس بالمعنى السلبي (حضرة المحترم . محفوظ) دون مأزق نفسى معلن، و دون جنون
صريح.

أما اختيار الطفرة في حالة العادية، فهو اختيار النوع في الأغلب، تماما مثلما حافظت الأنواع السابقة
على الإنسان على بقائها دون مواجهة أزمة الحرية الفردية باعتبارها مسؤولة عن البقاء أو الانقراض، إن
الطفرة في مستوى "حالة العادية" واردة خاصة بعد احتمالات التواصل بين البشر حفاظا على نوعهم
(11).

تعقيب وتذكرة:

أرجو أن أكون قد استدرجت القارئ بعيدا عما اعتاد أن يعامل به ما هو حرية، وما هو اختيار، فكل هذه
المواقف بتبادلها وتوافيقها، لا تحدث في دائرة الوعي الظاهر إلا نادرا، عند مبدع متميز، أو مجنون
يعالج علاجا مكثفا، وحتى المبدعين قد يكتشفون أزمات اختيارهم من خلال النقد، وليس من خلال الوعي
الذاتي، وقد لا يكتشفونها إطلاقا، أما العادي (أى في حالة العادية)، فعلى الرغم من أنه كان أقل
المتخنين بأزمة الحرية، إلا أنه . عادة . أكثر المتحدثين عنها.

من كل هذا نستطيع أن نواصل التعامل مع إشكالية الحرية بعمق يتناسب مع طبيعة هذه الأطروحة النابعة
من واقع الممارسة الإكلينيكية (فينومينولوجيا)، العارية في أكثر من مجال كما أشرت في المقدمة.

الحرية: نبض الحركية في ساحة مرنة

إذا كنا من البداية قد نهينا إلى الحذر من اختزال الحرية إلى الاختيار الواعى، أى أننا استبعدنا الإرادة
الواعية كدليل أوجد للحرية، فأين تقع الحرية إذن وسط كل هذه المتغيرات؟

المسألة ليست مناقشة تعريفات مدارس مختلفة (12) وإنما هي عرض معاشية واقعية تحاول تحديد ما
رأت، بما فى ذلك ما تيسر من العوامل التى تسمح للإنسان أن ينتقل . من خلال حرية ما . من حالة
العادية إلى الإبداع، أو من حالة الإبداع إلى الجنون، أو العكس فى أى اتجاه.

هكذا نوسع من مفهوم الحرية بما يسمح بالتعرف على دورها ليس فقط فى ترجيح اختيار واع دون آخر
(وهو أضعف أشكالها) بل فى التنقل بين حالات وتجليات الوجود المحتملة (حالات الوجود المتبادلة:
حالة الإبداع، وحالة العادية، وحالة الجنون).

ثمة محكات ومصاحبات يمكن أن تشرح بشكل ما هدفنا من توسيع مساحة مفهوم الحرية، مواصفات
ومحكات تتحدث مثلا عن: المساحة، والتوجه، والمرونة، والحركة، والدافعية، والوعى، والمعلومات،
والمعنى، لكننا بذلك قد نقع فى مأزق استعمال لفظ جامع غير مانع لا يعنى فى النهاية شيئا. ومع ذلك
فلا مفر من محاولة تحديد مبدئى حتى يمكن أن نتبين معالم ما نتحدث عنه (مفهوم الحرية) ونحن نحاول
ربطه بالإبداع.

بإيجاز شديد يمكن القول:

إن الحرية هي حركية الوجود لإعادة تخليقه: بدرجة ما من الوعي والإرادة .
ولما لم أقتنع بكفاية هذا الإيجاز خطر لى تعريف أشمل على النحو التالى:

"الحرية هي توجه جُماع حركية الوجود فيما بين منظومات بديلة، فى لحظة بذاتها، بقدر مناسب من
الوعي، فى حضرة (حضور) آخر، مع وفرة من المعلومات المرنة، فى مساحة كافية، بأدوات قادرة على
تفعيل هذه الحركية فى ناتج ظاهر (بما فى ذلك إنتاج الإنسان لذاته)، ناتج له عائد يتعدل ويتمادى جدلا
وتوليفا، نكوصا وتفككا، حالة كون الإنسان واعيا (جزئيا على الأقل) بمبدأ هذه الحركية أو مسارها أو

عائدها، بل بكل ذلك“

فما هي العوامل التي تؤثر على هذه الظاهرة بحيث تتوفر لها مقوماتها التي يمكن أن تسمح بترجيح كفة نوع من الاختيارات دون الأخرى في لحظة معينة؟

.....

ونكمل الأسبوع القادم

[1] - هذا هو الكتاب الثالث باسم "عن الحرية والجنون والإبداع" نشرت صورته الأولى في مجلة فصول- المجلد السادس - العدد الرابع 1986 ص(58/30) وقد تم تحديثها دون مساس بجوهرها، وهو الفصل الثالث من كتاب "حركية الوجود وتجليات الإبداع" الصادر من المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة، والكتاب يوجد في طبعته الأولى 2007 وهذه هي الطبعة الثانية بعد أن قُسم إلى أربع كتب أضيف إليها ما جدّ للكاتب بين الطبعتين، وهذا الكتاب هو الثالث.

[2] - سبق أن أوضحت في الفصل الأول والثاني وغيرهما، أن بداية الإبداع وبداية الجنون تكادان أن تتحدا، فهما أقرب من بعضهما البعض من أي منهما إلى العادية، وكلما تبادت المسيرة ابتعدا، ثم يزدادان ابتعادا من بعضهما يصحان أبعد عن بعضهما مما هما أبعد عن العادية في المدى الطويل.

[3] - انتقدت مكررا مسألة التأكيد على تقرير الذات (تحقيق الذات) Self actualization، جاءت هذه الإشارة في الفصلين السابقين أيضا، وكذلك فعل أريتي حتى أشار إلى ضرورة امتداد الذات Self expansion وليس تحققها كما أكد علم النفس عبر الشخصي Transpersonal Psychology على مسألة تجاوز الذات، وكل هذا يعلن أن تحقيق الذات وحده ليس نهاية المطاف، هو مرحلة تليق بالمستوى الأول للحرية "أكون=لاأكون، ولا بد من قبولها كمرحلة، ثم تنطلق المسيرة.

[4] - المقصود بالطفرة هنا هو معنى الدفع والوثب والتغير النوعي بسرعة ومغامرة إلى مجهول نسبي، وقد اخترت كلمة "اندفع" في البداية لأعبر عن سيل منهمر من التقدم، لكنني خشيت من الاستعمال العادي فالتسطيح، أما طفر فهي تستعمل في لغة التطور البيولوجي لإعلان عن تغير كيمي في مسار النوع، كما تعني طفر الشيء قفز من فوقه وتخطاه إلى ما وراءه

[5] - بعد دراستي ومراجعاتي لتشكيلات الموت وتجلياته، يمكن اعتبار الموت إيجابيا (نقلة الوعي الشخصي إلى الوعي الكوني) هو الإبداع الكامل (ولو نظريا جزئيا) الذي يلغى الموت من ناحية، ويؤكد الصيرورة من ناحية أخرى.

[6] - أعنى الوعي الشعوري بالحلم وحكايته، لأن الحلم - فسيولوجيا، وتركيبا- يواجه هذا السؤال تلقائيا كل ليلة... إلخ، وهذا ما لا يغيب عن حدس عامة الناس وخاصة من منطلق إيماني سليم، فالدعاء الإسلامي قبل النوم يجعل كل نوم هو تساؤل يشير إلى هذا السؤال " ...اللهم إن قبضت نفسي فاغفر لها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين.."، وتكملة الدعاء عند اليقظة يؤكد أن كل يقظة هي إحياء للكينونة " ...الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور". أنظر أيضا " الإيقاع الحيوي" أنظر الفصل الأول.

[7] - بالرغم من أن هذا السؤال "أكون أو لا أكون" ينسب - عادة- إلى "هاملت شكسبير"، فإنه حين عاودني شخصيا عاودني شعرا بالعامية، (وهي تجربة لم أستطع تكرارها) فقد بدأت قصيدة "الخلاص" (ديوان أغوار النفس : دار الغد للثقافة والنشر 1978) موجهة التساؤل لأمي: "ليه يامه؟ كان ليه؟ لما انتي مانتيش كان ليه؟ أنا ذنبي إيه؟ أنا مين، أنا فين أنا كام يامه؟ أنا إيه؟" المهم في هذه الصورة هو الإسقاط المبدئي لتساؤل الكينونة على هذا المستوى، أي أنه لكي أكون فإنه لا بد من أن أتلقى الكينونة ممن هو كائن، وليس من فراغ، (لما انتي مانتيش ..) ثم يأتي رد التساؤل (=عدم رد التساؤل) من الأم بنفس الرد الذي طرحته هنا حين يرفض من هو عادي أي تساؤل من هذا القبيل، وكأن الأم التي ترد هنا، هي الأم الداخلية (ممثلة العادية)، وليست الأم الحقيقية، ترد نيابة عن "العادية" قائلة: جرى إيه يابني يا حبة عيني، جرى إيه؟ طب ما انت أهه، بقى دا اسمه كلام، ما هو كله تمام، جرى إيه؟

[8] - قراءة حضرة المحترم من هذا البعد (بعد الصيرورة الكمية العادية غير ذات الجدوى) تحتاج إلى دراسة مستقلة،

الأنواع السابقة على الإنسان على بقائها دون مواجهة أزمة الحرية الفردية باعتبارها مسؤولة عن البقاء أو الانقراض

إن الحرية هي حركية الوجود لإعادة تخليقه: بدرجة ما من الوعي والإرادة

الحرية هي توجه جُماع حركية الوجود فيما بين منظومات بديلة، في لحظة بذاتها، بتقدير مناسب من الوعي، في حضرة (حضور) آخر، مع وفرة من المعلومات المرنة، في مساحة كافية، بأدوات قادرة على تفعيل هذه الحركية في ناتج ظاهر

المقصود بالطفرة هنا هو معنى الدفع والوثب والتغير النوعي بسرعة ومغامرة إلى مجهول نسبي

الدعاء الإسلامي قبل النوم يجعل كل نوم هو تساؤل يشير إلى هذا السؤال " ...اللهم إن قبضت نفسي فاغفر لها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين.."

تكملة الدعاء عند اليقظة يؤكد أن كل يقظة هي إحياء للكينونة " ...الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور."

"ليه يامه؟ كان ليه؟ لما انتي مانتيش كان ليه؟ أنا ذنبي

إيه؟ أنا مين، أنا فين أنا كام
بامه؟ أنا إيه؟

لأسف فإن النموذج
"الديني" الذي يطرح على
الساحة النفسية (وتغيرها من
الساحات) باعتباره غاية
المراد، وطاعة ربه العباد،
هو نموذج "النفوس المطمئنة"
بالمعنى الذي نشير إليه هنا
في اختيار السكون

ليس بمعنى الرجوع إلى ربه،
من خلال "أدخلني في عبادي"
مؤلفة مع الجهاد السابق
واللاحق = الكدح كدحا
لملاقاته، وعرض الأمانة فحملها،
وكشف الغطاء، وتلقى القول
الثقيل

قد يموت "نغما" حين يكون
الموت هو تلك النقلة من
الوعى الشخصي إلى الوعى
الكوني (إلى وجه الله)، وفي
هذه الحالة تكون الطفرة -
حتى في حالة العادية - هي
تجاوز الموت بشكل أو بآخر.

المهم هنا أن أشير إلى البعد التطوري والبعد الإلهي المقدس
الذي صبغت به هذه الصيرورة ، رغم أنها مفرطة "العادية".
وقد التقط هذا البعد محمد إسويرتى التقاطا عابرا في إشاراته
إلى نظرية دارون في قراءته لنفس الرواية (حضرة المحترم، محمد
إسويرتى، فصول المجلد السادس، العدد الثالث، 1986 ص: 135-
161).

[9] - يحيى الرخاوى: قراءات في نجيب محفوظ الهيئة العامة
المصرية للكتاب ، 1991 .

قرأت الشحاذ مرة من بعد نقدي مسطح، وقد أعجب الكتاب
والنقاد في حينه، رغم أنني رفضته بعد نشره الأول (سنة 1971)،
ثم أعلنت رفضي هذا مؤخرا حين أعدت قراءته في عمل لاحق، ثم
عدت أقرؤه مقارنة بمالك الحزين إبراهيم أصلان، ولم أتم
المقارنة بعد، ونفس هذه القضية (قضية فشل الصيرورة البديلة
- (الزائفة) -، بالجمع الكمي المتراكم) تناولتها في عمل
بأكمله، كان أقرب إلى التدريس والحكمة منه إلى الأدب (في
رأى، رغم تقدير كثيرين له بغير ذلك) وهو: عندما "يتعري
الإنسان"، يحيى الرخاوى، الناشر: دار الغد للثقافة والنشر
القاهرة، 1979.

ثم إن هذه القضية هي قضية متكررة في كثير من الأعمال
الأدبية، حتى لم يعد فيها جديد أصلا، اللهم إلا تغييرها مع نمو
الشكل وطزاجة التناول، ويبدو أن نجيب محفوظ نفسه قد طورها في
دورات الحياة في الحرافيش، وفجرها في ليالي ألف ليلة، ورأيت
فيما رأى النائم، بتقنية أروع وعمق أبعد (قراءات في نجيب
محفوظ، 27).

وهذا النوع من التراكم الكمي (الصيرورة الزائفة) هو الذي
أسميته الوجود المثقوب في دراسة في علم السيكيوباتولوجي
(12:ص29).

[10] - للأسف فإن النموذج "الديني" الذي يطرح على الساحة
النفسية (وغيرها من الساحات) باعتباره غاية المراد، وطاعة رب
العباد، هو نموذج "النفوس المطمئنة" بالمعنى الذي نشير إليه
هنا في اختيار السكون، وليس بمعنى الرجوع إلى ربه، من خلال
"أدخلني في عبادي" مؤلفة مع الجهاد السابق واللاحق = الكدح
كدحا لملاقاته، وعرض الأمانة فحملها، وكشف الغطاء، وتلقى
القول الثقيل .

[11] - حدث الموت في حالة العادية يحتاج إلى وقفة خاصة مثل
بقية المستويات، فالشخص في حالة العادية حين يموت "عدما" فهو
ينقرض، فإذا عم ذلك، فالنوع كله مهدد بالفناء، لكن نفس شخص
العادية، ودون إبداع ظاهر، قد يموت "نغما" حين يكون الموت هو
تلك النقلة التي أشرنا إليها من الوعى الشخصي إلى الوعى
الكوني (إلى وجه الله)، وفي هذه الحالة تكون الطفرة - حتى في
حالة العادية - هي تجاوز الموت بشكل أو بآخر.

[12] - يمكن الرجوع إلى إشكالية تعريف الحرية في أي كتاب
مدرسي، أو لبعض المراجعات المنظمة مثل "مشكلة الحرية :
ذكرها إبراهيم. مكتبة مصر . 1963

ارتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD051019.pdf>

شبكة العلوم النفسية العربية

نحو تعاون عربي رقيقا بعلوم وطب النفس

الموقع العلمي

<http://www.arabpsynet.com/>

المتجر الإلكتروني

<http://www.arabpsynet.com>

الكتاب السنوي 2019 1 " شبكة العلوم النفسية العربية " (الاصدار السادس)

الشبكة تطفيئ شمعها الثامنة عشر وتدخل عامها التاسع عشر من التأسيس

18 عاما من الكدح... 61 عاما من التواحل "

(التأسيس: 2000/01/01 - على الويب: 2003/06/13)

<http://www.arabpsynet.com/Documents/eBArabpsynet.pdf>